التكرار اللغوي وإنتاج الخطاب عند الحصري القيرواني.

محصر وردة *

جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، mahcerouarda@gmail.com

النشر: 2022/09/30

القبول: 2022/09/01

الإرسال: 2021/08/12

الملخص: إن المطلع على شعر أبي الحسن الحصري الضرير القيرواني (420 – 488) سرعان ما يدرك أثر فقدانه البصر على شعره من خلال تشكلات العلاقات المتأرجحة بين السخط والرضا والتي أقامها بينه وبين نفسه أولاً ثم بينه وبين عالمه الخارجي. المجتمع الذي كان ينظر إليه نظرة ترم واستصغار من جهة ، وطبيعة الحياة المتقلبة تقلب الأوضاع السياسية في عصره من جهة أخرى. وهي علاقات كان يحكمها الصراع من أجل إثبات الذات المهمشة أحيانا والمنبوذة أحيين أخرى لذلك كان هدفنا من وراء هذه الدراسة هو معرفة ما مدى تأثير عاهة العمى في نفس الشاعر المغربي القديم وكيف انعكس ذلك الأثر على شعره الذي كان تجليا لتراكمات نفسية هيمنت عليها الرغبة في الدنيا والرغبة عنها في آن واحد. إن التركيز على دراسة ظاهرة التكرار في شعر الحصري الضرير باعتباره سمة أسلوبية وإحدى مقومات غنائية الشعر عموما إن هو إلا محاولة اثبات أن هذه الظاهرة هي نتيجة لفقدانه البصر وأسلوبا من أساليب تأكيد المعنى. لذلك سنعتمد المنهج الفني والنفسي قصد الوقوف على جماليات التكرار في قصيدة الحصري والأثر النفسي في شعره.

الكلمات المفتاحية: أثر العمى ، التكرار ، جمالية ، الشعر.

Linguistic repetition and discourse production in El hosri Elkairouani's poetry

Abstract: Our objective through this study is to discover the extent of the effect of blindness on the magrebian poet and how this impact was reflected

* المؤلف المرسل.

in his poetry, which was a manifestation of psychological accumulations dominated by the desire for the world and the desire for this at the same time. Focusing on the study of the phenomenon of repetition in Al-Hosari's poetry as a stylistic trait and one of the elements of poetry in general is nothing more than an attempt to prove that this phenomenon is the result of his loss of sight. Therefore, we will take the technical and psychological approach in order to build on the aesthetics of repetition in Al-Hosary's poem and the psychological impact on his poetry.

Key words: Effect of blindness; Repetition; Aesthetics; Poetry.

1- مقدمة:

التكرار ظاهرة من الظواهر الأسلوبية، اهتم به علماء النقد و اللغة والبلاغة وبحثوا له عن تحليل وتفسير، وأثبتوا له الوظائف والغايات. سواء كان ذلك في لغة النثر أو في لغة القصيدة الشعرية، وقد تكون وظيفة التكرار في الشعر غيرها في النثر، فهو في القصيدة عامل من عوامل الجمال وحسن الإيقاع أما في النثر فيكون لغايات مرتبطة بالنحو والبلاغة أكثر من ارتباطها بجمالية النص. وشاع التكرار في الشعر العربي القديم، حتى أصبح عند بعض الشعراء ظاهرة جديرة بالدراسة والاهتمام، ولا نبتعد عن الصواب إذا اعتبرنا التكرار ضربا من البديع الذي انتشر عند شعراء المغرب والأندلس. ولعل شاعرا مثل أبي الحسن علي الحصري القيرواني أبرز من يمثل هذه الطائفة من شعراء المغرب القديم حيث اشتهر بظاهرة التكرار في أغلب شعره مما جعله قمينا اهتمام النقاد والدارسين. وليس من شك في أن ذلك مَرَكه إلى عاهة العمى الذي أصيب به الشاعر في صباه، فيكون التكرار في أسلوبه الشعري بذلك انعكاسا لحالته النفسية المنطوية التي تريد أن تتجلى في هذا الضرب من الأساليب الشعرية. ذلك ما يشكل جوهر إشكالية هذه الدراسة التي تفترض الربط بين الإعاقاة والإبداع الشعري. يُعدُّ التكرار أحد الأشكال الأسلوبية التي أخذت اهتمام النقاد والبلاغيين القدامى والمحدثين، وهي خاصية لغوية تنتشر في النصوص الشعرية والنثرية على حد سواء، و لعلها في نصوص النثر أكثر حضورا منها في الشعر، وذلك لاتساع لغة النثر لهذه الظاهرة، وضيق لغة الشعر التي تمتاز بالإيجاز والتركيز.

وألغينا التكرار مصطلحا عربيا حاضرا في المعاجم ومؤلفات البلاغيين العرب القدامى ، فجاء عندهم من الكَر بمعنى الرجوع ، وهو «الترداد والترجيع من كَرَّ يَكِرُّ ، والتكرار الرجوع على الشيء ، ومنه كَرَّرَ الشيء وأعادته مرة بعد أخرى ، يقال كَرَّرت عليه الحديث إذ رددته عليه»¹ ويعرفه (السجلماسي) ، «بأنه إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا»².

أشار علماء اللغة إلى أنَّ غاية التكرار هي التأكيد إذ ذهب (السيوطي) إلى «أن التكرار هو التجديد في اللفظ الأول ، ويفيد ضربا من التأكيد»³. من ثم يكون الغرض من التكرار هو التأكيد ، تأكيد المعنى الذي يراد نقله إلى المتلقي.

يبدو أن علماء النحو كانوا قد أشاروا إلى وجود التكرار في اللغة ، وعدّه (سبويه) ضربا من التوكيد لا يختلف عن لفظة اجمعين وما شاكلها من الألفاظ التي تستعمل لهذا الغرض . ويذهب (الجاحظ) مذهبا يختلف عن مذهب النحاة ، فالتكرار عنده «ليس فيه حدُّ ينتهي إليه ولا يؤتى على وضعه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين»⁴ ويرى أن وظيفته هي الإفهام . ويوجد التكرار في اللفظ كما يوجد في المعنى ، ولا شك في أن له أثرا نفسيا كبيرا ، يحدثه في نفس المتلقي من منظور بلاغي متعلق بسياقه في النص . ويُعد التكرار أداة من أدوات كتابة النص ، فهو لازمة ضرورية في إنشاء الكتابة تفرضها طبيعة اللغة ذاتها وسياقات النص .

أما في النقد العربي الحديث كانت ظاهرة التكرار موضوع اهتمام الكثير من النقاد والأدباء ، إذ يرى (محمد عبد المطلب) «أن التكرار هو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف أنواع البديع ، ولا يمكن الكشف عن هذه الحقيقة إلا بتتبع المفردات البديعية في شكلها السطحي ، ثم ربطها بحركة المعنى»⁵ . وتذهب (نازك الملائكة) إلى أن تكرار العبارة أقل شيوعا في شعرنا المعاصر من تكرار الكلمة⁶.

وانتشر التكرار في أدب (طه حسين) انتشارا ملحوظا بسبب عاهة العمى التي اضطرتته إلى إملاء كل ما كتب . ومن ثم تتضح العلاقة بين فقدان البصر والتكرار ، وكأن في التكرار ما يعوض به الأديب الضرب شيئا من حاجة الإبصار .

ويظهر التكرار كذلك عند الغربيين لغايات مختلفة فقد جاء في نصِّ للكاتب الأمريكي (ريموند كاربر) تكرار لكلمة نَام سبع عشرة مرة وذلك في مجموعته "سرعة الماضي الخاطف"

ومهما يكن من شأن التكرار ، فإن له وظائف شتى ومختلفة تتأرجح بين الوظيفة النحوية ، والوظيفة البلاغية ، والوظيفة الفنية الإيقاعية. وقد أشار إليه الكثير من النقاد الغربيين بمصطلح التواتر أو التردد. وأورده (ميشال ريفاتير **Michel Riffataire**) في كتابه دلالية الشعر من خلال مصطلح التراكم⁷. ويرى (يوري لوثمان) «أن البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية حيث تنتظم في نسق لغوي»⁸. يذهب (لوثمان) إلى اعتبار التكرار في النص الأدبي بمثابة الجوهر ، هو «سمة كالجوهر ملازمة ومظهر كالركن دائم لا يستقيم قولٌ شعريٌّ إلا به ، ولا تتحقق طاقة شعرية دونه ولا يصلح للقصيدة نسب إلى الشعر إلا بتوفره»⁹.

وبهذا يكون التكرار إحدى آليات البناء الفني ومكوناته الأساسية ، يوظف في سائر الفنون كالرسم والموسيقى ، والنصوص الشعرية ، والنثرية ، على حدّ السواء لأنه يحدث تيار التوقع ، ووحدة جمالية تسهم في نسج علاقات تواصلية وتفاعلية بين النص والمتلقي.

التكرار سمة من السمات الأسلوبية ، وأداة تعبيرية ، جاءت في الشعر العربي بأشكال متعددة وأنماط مختلفة باختلاف غرض الشاعر من وراء توظيفها ، ويأتي التكرار حرفاً أو كلمة أو عبارة أو بيتاً كاملاً ، ولكل من هذه الأشكال وظيفة يؤديها في إبراز مكامن الشعرية ، والتأثير من قمة جمالية النص. لذلك قلنا جمالية التكرار في الشعر لها من أهمية في تحسين الإيقاع الشعري الذي يبنى على الوزن ، وانتظام جملة وتكرار وحداته في البيت الواحد ، والقافية التي تتكرر آخر كل بيت وقد يوظفها الشاعر في التصريح أو يضمنها أبياتا أخرى ليضفي على النص جمالية تشد المتلقي إلى النص. ثم يأتي الرّوي الذي اعده الشاعر العربي لازمة إيقاعية لا يمكن الاستغناء عنها في القصيدة العمودية وهو بمثابة النوتة الموسيقية التي تربط وحدات النص بعضها ببعض. وذلك فضلاً عن تشكيل التكرار للإيقاع الداخلي الذي يتجلى في تكرار الحروف في البيت الواحد أو عدد من أبيات القصيدة ، أو تكرار كلمات متجانسة لفظاً أو معنىً ؛ ذلك بأنّ «التكرار يقع من أصغر وحدة صوتية إلى أكبر وحدة وهي الجملة بل يتعداها إلى السطر والمقطع»¹⁰.

ولا شك أن ظاهرة التكرار ترتبط بشكل ما مع صاحب النص الذي يقصد من خلال التكرار تأكيد معنىً ملك خياله أو فكرة استحوذت على كيانه. ومن خلال ما يخلفه من أثر انفعالي في نفس المتلقي ، ليتجلى هذا الأثر في جانب من الموقف النفسي ومثل هذا لا يمكن فهمه إلا بعد دراسة التكرار داخل النص الشعري الذي ورد فيه. لأن طبيعة السياق الشعري تفرض على التكرار دلالات نفسية وانفعالية ، تختلف باختلاف السياق النصّي. «فالشاعر إذا

كُرِّرَ وألحَّ ، فقد أظهر للمتلقي أهمية ما يكرره مع الاهتمام بما بعده ، كي تتجدد العلاقات»¹¹ . فتكوّن ثروة للمعاني تساعد في تحقيق تنامي النص ، ليكون بذلك التكرار طاقة أسلوبية فاعلة في بنية النص الشعري و «يمكن أن يمارس فعالية بشكل مباشر كما أنه من الممكن أن يؤدي إلى ذلك من خلال تقسيم الأحداث والوقائع المتشابهة إلى عدد من المنفصلات الصغيرة التي تقوم بدورها في عملية الاستحضار»¹² .

ويتحقق التكرار في النص الشعري من خلال أنماط عديدة منها:

1- **تكرار الحرف**: يعتني الشاعر بحرف بعينه ويعمد إلى تكراره في البيت الواحد أو في عدة أبيات فيأتي الحرف الواحد مكرراً مرات عديدة ، أو يذهب إلى تكرار حروف مختلفة قاصداً من وراء ذلك إفراغ شحنات داخلية ذات أبعادٍ تعكس نفسيته واختلاج عواطفه.

2- **تكرار اللفظة**: إن تكرار الألفاظ الواردة في النص الشعري إنما يؤكّد دلالتها ، ويعمق أثرها في ذات المتلقي ، إلى جانب ما يحققه من سيولة في الإيقاع وانسيابيته. فتتجاوز دلالة اللفظة حدود الزمان والمكان التي تحيط بملايسات التلقي.

3- **تكرار التراكيب أو الجمل**: يتجلى هذا النوع من التكرار من خلال الأهمية التي يوليها الشاعر لمضمون الجملة المكررة ، باعتبارها مفتاحاً لمغاليق نصه ، تساعد على فهم السياق العام الذي يقصده ، إلى جانب ما يمكن أن يحققه تكرار الجملة من توازن هندسي ووجداني بين النص ومعانيه.

وإن المُطالع على شعر الحُصري¹³ سرعان ما يلاحظ انتشار التكرار بمختلف أنواعه ، وأنّه دأب على تكرار الحروف فيما أسماه بشعر المعشرات الذي ألزم فيه نفسه بنظم كل عشر أبيات على حرف من حروف الهجاء ، فيكرر الحرف الواحد في أول كل بيت وفي آخره حتى عُرف بهذا اللون الشعري لدرجة أن بعض النقاد يكاد يُجزم بأنّ الحُصري هو من ابتدع هذا الفن. متخذاً من التكرار أسلوباً للتشكيل الموسيقي في شعره ، كما أنه جعل من هذه اللزوميات ميدان تحدي لشعراء عصره على نهج المعري الذي كان ضريراً مثله.

لم يكتف بالتكرار في قصائد المعشرات ، بل غلب عليه ذلك في سائر شعره ، حتى أنه يكاد يشكل ظاهرة أسلوبية في مراثيه ومخمساته وذيل ديوانه «اقتراح القريح واقتراح الجريح» الذي يعد من أهم آثاره ، جمع فيه رثاء لابنه عبد الغني الذي توفي دون العاشرة ، وقدم له بثلاث مقدمات ، منها قوله «وسميت هذا الكتاب ، اقتراح القريح واقتراح الجريح ،

وضمنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحران كالمعجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة في قافيتها»¹⁴ رتبت قصائده ترتيب حروف الهجاء .

أما ديوان المعشرات فهو شعر غزل كل قصيدة في عشرة أبيات وقد جمع مدحه لبني عباد في الأندلس في ديوان أسماه "مستحسن الأشعار" وهو في حكم المفقود .

ومن الواضح أن اهتمام الحُصري بظاهرة التكرار وتكريسها في شعره هو لازمة لغوية مميزة أشاعت حركية امتازت بالعدوبة والاستحباب ، وأحدث في شعره جمالية تجاوزت نسبة اللفظية إلى إنتاج مقاصد جديدة في ثنانيا النص ، خلفت فيه جلية وموسيقى باستحداث بنيات متماثلة في مواطن مختلفة من النص ، شكلت مرتكزا صوتيا ، يفرض هيمنته على السامع بانسجام الإيقاع ، وتواصله مع خيال المتلقي في توافق وانسجام . ومن ثم فإن التكرار يكون قد تجاوز بعد الإيقاع في التأثير ليتعدى إلى «تشكيل النسبة الدلالية للقصيدة من خلال النظم المختلفة المتبادلة ، التي يمكن أن يأتي عليها التكرار فهو يأتي على مستويات عديدة لا يمكن حصرها حصرا كاملا»¹⁵ .

وأول معشراته يبدأ بحرف الألف وينهيها بالحرق ذاته مثل قوله:¹⁶

أَمَّا لَكَ يَا ذَاءَ الْمُحِبِّ دَوَاءٌ..... بَلَى عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنْكَ

شَفَاءٌ

أَسِيرُ الْعِدَا بِالْمَالِ يُغْدِيهِ أَهْلُهُ..... وَمَا لِأَسِيرِ الْغَانِيَاتِ فِدَاءٌ

نلاحظ أن الحُصري استهل البيت بحرف الألف ، وهو أداة استفهام فرضه الإنكار ، ووظيفته الالتفاف ، القصد منه شد المتلقي الى نسه ، وقد تحقق له ذلك لاسيما وأنه عهد الى تصريح البيت الأول من هذه القصيدة التي اتكأ فيها على تقنية التكرار ليبين أنه يكابد الهوى الذي لا يمكن مغالبتة والصبر على عذابه ، وهو بهذا يؤكد عدم قدرته على التحمل والصبر على فراق الحبيب .

أما تكرار حرف الباء ، فمن أمثلته ما قاله في وصف حبيبته وعيونها:

بَكَتْ رَحْمَةً لِلصَّبِّ عَيْنِ عَدْوَهُ	فَمَا لِحَبِيبِ الْقَلْبِ لَا يَرْحَمُ الصَّبَا
بَخِيلٌ بَأْنَ يَحْيَا الْقَتِيلَ بِلِحْظَةٍ	وَأَنْ يَرِدَ الظَّمَانَ بَارِدَهُ الْعَذْبَا
بِعَيْنَيْنِ هَارُوتَيْتَيْنِ كَأَنَّهَا	يَجْرِدُ نَحْوَ مِنْهَا صَارْمَا غَضْبَا
بِرَانِي هَوَى الطَّبِي الْغَرِيرِ وَقَادِنِي	ذَلِيلَا وَكَمْ رَاضِ الْهَوَى جَامِحًا صَعْبَا

في هذه البائية التي يكرّر فيها حرف الباء في مطلع كل بيت ونهايته مما أضفى على هذه المعشرة وتيرة إيقاعية تنتقل إلى السامع في انسجام وانتظام جميلين ، ذلك فضلا عن التراكم على المستويين الدلالي والإيقاعي الذي أنتج تكرار حرف الباء في البيت الأول سبع مرات على التوالي (بَكت ، للصبا ، لحبيب ، القلب ، الصبا) والجدير بالذكر أن الحصري ألزَم نفسه ظاهرة التكرار ، في معشراته بالنحو الذي ذكرناه سابقا ، لأنه كان يرمي من جراء ذلك إلى إظهار مقدرته على إبداع الشعر والخوض في بحوره ، وركوبه سهوة لزوميات التكرار وما نجم عنها من تراكم الدلالات وتكثيف المعاني وتعميقها ولم يشذ عن شعراء بيئته في المغرب الكبير والأندلس ، إلا في شكل القصائد التي نظمها في عشرة أبيات لكل حرف من حروف الهجاء ، أو خمسة عشر أبيت على حرف واحد.

ومن خلال الاطلاع على معشراته أو غيرها ألفيناها نصوصًا هيمن عليها أسلوب التكرار في الحروف وقد عمد إلى النظم في حروف الهجاء ، فكان لكل قصيدة منها خصائص الحرف المنسوجة عليه مطلقًا ورويًا.

وقد أوحى تكرار حرف الباء مثلا بالانفتاح والشدة ، وهي خصائص إذا ما تراكمت في نص الغزل ، أكسبته قوة "اللحظ" وشدة الحسن انفتاح القلب المصاب بالعشق ، وعجز الشاعر عن مداواة جراح الصبابة. فكان الانسجام جليا بين المباني وحروفها وبين المعاني وأبعادها ، فضلا عن عذوبة الحركة الإيقاعية حتى كأنه يصب العسل في قلوب السامعين صبًا وهو يتفنن في وصف معشوقه وسرد مفاتها.

وإنّ القارئ لغزل أبي الحسن الحصري يخلص إلى أنّه غزل عذري إجمالا ، تحدّث فيه عن الحب والهوى ، وما كابده من أثر الفراق من شوق وحنين... كما وصف الصدّ والهجران ، وما ألمّ من ضعف وأرق وغيرهما ، وإن كُنّا لا نغفل بعض مقاطع الغزل الحسي

ثَمِلْتُ بِذَكَرَاهَا وَطَبْتُ كَشَارِبٍ

لها بالمشاني تارة المثلث

ثلاثُ سلبنِ القلبِ حس عزائه

وألبستني ثوبي خليع وناكث

ثقاله ردفها ، ورقّة خصرها

وسحّرُ العيون القاتلات البواعث

إن التساوق بين التاء والسين جلي ، واضح بين دلالات النص وصوره ، كالثمالة (السكر الشديد) بعشق المحبوبة ، وما توفر التاء والسين ، من رخاوة الأولى وهمس الثانية .
نلاحظ أن هذين الحرفين المكررين (التاء والسين) قد جسدا صورة الشاعر الثمل من أثر الهوى العشق وهي حالة شعورية شديدة الانسجام مع صفات الحروف المكررة ومن هنا نستشف أن تكرار الحروف في شعر الحصري أدى وظيفة موسيقية شكلت إيقاعا عذبا يتناسب ودلالات النص لذلك قيل ، إنَّ للتكرار مواضع يحسن فيها ، فإنَّ الحصري لم يكن بدعًا من هؤلاء الشعراء الذين كانت من سننهم "التكرار والإعادة وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر والموقف الخطابي"¹⁹.

إن الإرادة في الإبلاغ والإلحاح على ترجمة الحالة الشعورية وتجسيدها في الموقف الخطابي ، هو ما جعل من الشاعر الحصري يلزم نفسه ما لم يلزم ، وينظم قصائده في نظام المعشرات أو الخمسات تحكمها ظاهرة التكرار ، كما أن عدم قدرته على الكتابة واعتماده على إملاء شعره بسبب عاهة العمى هو ما أدى إلى انتشار التكرار في شعره ، واردةً على ما ذكرنا من أوجه تكرار الحرف ، نورد قوله في تكرار الفعل كان في مطلع كل بيت من هذه الأبيات:²⁰

كان فيه عجب المعالي	سنن الشيخ وميس الصبي
كان قرا يرى حين يقرأ	أفصح القراء كالأعجمي
كان للكتاب يغد ويأتي	منه في أحسن زي وري

إن تكرار فعل الكينونة في بداية كل بيت من هذه الأبيات قد حقق أثرا واضحا في ذهن المتلقي ، جعله متهيئا للإبحار في عمق النص ، ذلك أن فعل (كان) أحدث إيقاعا انسيابيا يتأرجح بين التصاعد والهبوط ، مما أكسب النص موسيقى هادئة تناسب موقف تذكر خصال ابنه الذي رثاه في كثير من شعره. وليس غريبا على شاعر كالحصري أن يستعين ، وهو يندب ابنه الذي خطفه الموت منه قبل أن يشبع منه ، بتوظيف التكرار الاستهلاكي الذي كان الشعراء يستعملونه للالتفات ، والاستحواذ على السامع ، والغرض من ذلك كله في شعوره بالألام والحزن المبرح.

وإن كان تأثير الحرف الموسيقي قد أسهم بوضوح في تشكيل الإيقاع الشعري الذي غالبا ما كان هذا الأثر الجمالي متسقا مع الأبعاد الدلالية ضمن سياق النص ، فإنَّ تكرار الكلمة أو الجملة في النص الشعري يكون أقوى تأثيرًا. إذ تكون القيمة الصوتية التنغيمية لهذا النوع من التكرار أكبر من قيمة تكرار الحرف مفردًا ، وإنَّ تكرار الكلمات يمنح النص امتدادا وتناميا في

الصّور والأحداث لذلك يعدّ نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصّور والأحداث وتنامي حركة النص".²¹

ذلك أنّ الكلمات تتألف من أصواتٍ وطاقاتٍ تعبيرية.

وإنّ بنية الألفاظ الصوتية والتركيبية، التي تآزرت مع العلاقات الدلالية جاءت مبنية على تكرار "كان" في الأبيات المذكورة، وهو تكرار لبنية تركيبية حاضرة دلالياً غائبة لغويًا، لأنها تشكل جملة فعلية مكتملة العناصر في اللغة، و"الكاف" بامتداد صوته، واتساع مساحته الصوتية قد منح النص مستويات تعبيرية انساقَت إليها معاني الشجن والأسى انساقًا طيِّع جميلًا، وإن تضافر هذا الإيقاع مع غنة النون وتراكمه قد شكل تكتيفًا ضاعف من حيوية اللّغة الفاعلة في سياق القصيدة، وتراكم صوت النون في آخر اللفظة "كان" أعطى طاقة تعبيرية تميزت بالكأبية المتواصلة، فشيوع "النون" الذي يُعد أقوى الأصوات المجهورة وأوضحها في التعبير عن النحيب وأنين ألم الحزن، مثلما أنه يتناسب مع قيمتها الإيقاعية.

وإنّ تكرار "كان" في مطلع كل بيت، يندرج ضمن ما عُرف بالتكرار الاستهلالي الذي يؤدي وظيفة التأكيد، ولفتت انتباه المتلقي للمعنى الجديد، قصد مشاركته إحساسه ونبضه الشعري، وهو بذلك يكشف عن فاعلية تمكّن النص الشعري من إعطاء بنية متسقة.

ولعلّ هذا النوع من التكرار يكون الأجدر من غيره في تجسيد الشعور بالترتيب والتتابع الذي يعمل على إثارة التوقع لدى السامع، الذي يجعله أكثر استعدادًا لتلقي النص بدلالاته المكثفة، ولا يأتي ذلك إلا بتنظيم تركيب لغوي بعينه، وبتكراره مرات عديدة لبلوغ حالة شعرية تنفذ إلى إحساس المتلقي وتهيمن عليه لحظة التلقي، ومن ثم تفتح مجالًا دلاليًا تشحنه بطاقة إيحائية من شأنها استدراجه إلى فضاءات التأويل، وإكمال النص، من خلال استحضار عناصر الغياب، ومن ثم فإن الشاعر الضرب كان يقصد إلى إقحام السامع في دلالات نصه والمساقفة بين الحضور والغياب واستدراجه إلى حالة القلق والجدل التي تعتلج بوجوده.

ويمكن القول بأنّ التكرار يشكل ظاهرة جمالية في شعر الحصري، إذا ما نظرنا إلى غزارة إنتاجه لاسيما فنيّ الرثاء والغزل، بعدما كابد الشاعر الأحزان بسبب صروف الدهر، وهو القائل:

فَمَا لَكَ تَضْحَكُ مِمَّنْ بَكَى

هُوَ الدَّهْرُ يُبْكِي إِذَا أَضْحَكَ

فاشددت عليه رحي الآلام والأحزان بعد فقدته لأبنائه الأربعة بعدما فقد البصر ، فكان الشعر للحصري ، وهو سجين العبي ، ملجأ ومتنفسا أفرغ فيه شحناته العاطفية وزفراته الموسومة مرارة ، ووسيلة لبكاء أعز أبنائه عبد الغني الذي كان يعلق عليه آماله ، ويرى فيه خلفا له في علم القراءات ، لتوقد ذكائه وتمييزه عن إخوته ، بيد أن الموت ينزع فرحته ويفسد عليه حياته ، فلم يجد الشاعر الضرير غير الإلحاح على رثائه في قصائد شديدة البكائية ارتكز فيها على التكرار ، باعتبارها آلية أسلوبية مكنته من بثّ حزنه .

أما الغزل ، الذي كان أجوده في زوجته التي تركته بعدما جرح قلبه ، كان وسيلة تخفيف وطأة الغدر والخذلان للذان ألما به ، فظل يجاهر الغزل انتقاما لنفسه ، ولعل ذلك ما جعل شعر الغزل عند الحصري أجمل من شعره في أعراض أخرى ، تأرجحت معانيه بين التذكر والحنين ، الذي ألقى التكرار أداة تناسب ما اعتلج في وجدانه المجروح . وعلى الرغم من تكريس ظاهرة التكرار في شعره والالتكاء عليها في تبليغ شعوره للمتلقي ، وإلزام نفسه ما ليس يلزمها في معشراته ومخمساته من تكرار الأحرف ذاتها في مطلع الأبيات ونهايتها ، لم يكن الحصري يصنع ذلك التكرار صناعة وتكلفا تفقده جمالية الطبع ورونق تدفق شعرته الفذة ، بل ألقيناه يوظف التكرار بمختلف أنواعه ليزيد من مستويات الشعرية وليضفي على شعره شحنة تعبيرية وإيقاعية ، تجاوزت مساحات التوقع واستحضرت أسئلة التأويل .

خاتمة:

كانت هذه الدراسة بحثا في شعر الحصري الضرير واستكشافا لخصائص شعره التي يُعد التكرار أحد أبرز مظاهرها ، وإذا كان التكرار يكاد يكون ظاهرة أسلوبية منتشرة عند كثير من الشعراء فإنه عند الحصري يكاد يصبح لازمة في شعره لا تكاد تفارقه . وقد جعل الحصري التكرار أنواعا فهو ينتقل من تكرار الحرف إلى تكرار الكلمة فتكرار العبارة ، يُضاف إلى هذا أنه ألزم نفسه نوعا جديدا من التكرار سماه النقاد التكرار الاستهلالي وهو أن يستهل القصيدة بحرف يجعله رويها ويكررها في جميع أبياتها ، وقد خلصنا من هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات .

- تعدد أعراض التكرار عند الحصري بتعدد المواقف التعبيرية واختلافها .
- لا يرتبط التكرار بغرض معين ، بل يرتبط بالموقف الشعري وبالحالة النفسية التي تحرك الشاعر .

- يعد التكرار الاستهلاكي في قصائده المُعشرات والمخمسات ظاهرة لما وجدت عند غيره جمعت بين الصنعة والإبداع.
- يظهر الحصري متمرسا بالقراءات مطالعا على علوم اللغة عارفا بقيمة الحروف ودالاتها الصوتية.

إن التكرار عند الحصري مُختلف الأغراض والغايات ولعل رغبة الشاعر في تنبيه المتلقي الذي لا يراه ، إلى قيمة شعره وجودته هو أكبر الدوافع التي تقف وراء هذه الظاهرة الأسلوبية في شعره¹³⁵

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ج 3 مادة كر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1.

² - السجلماسي ، المنزع البديع ، تقديم علال الغازي ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1980 ، ص 476.

³ - الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تـج محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 8 ، 2005 ، مادة كَرَّرَ.

⁴ - الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبيين ، ج 1 ، بيروت ، 1968 ، ص 105.

⁵ - محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحدائث ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 1995 ، ص 109.

⁶ - يُنظر ، نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ط 3 ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، 1967 ، ص 233.

⁷ - ميشال ريفاتير ، دلالية الشعر ، ترجمة محمد معتمد ، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1998 ، ص 75.

⁸ - يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري ، بنية ، ترجمة محمد فتوح ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، (د/ط) 1995 ، ص 63.

⁹ - المرجع نفسه ، ص 64.

¹⁰ - أمال منصور ، ادونيس و بنية القصيدة القصيرة ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، 2007 ، ص 155.

¹¹ - مدحت سعيد ، الجبار الصورة الشعرية عند أبي القاسم ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص 47.

¹² - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و على النص ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 164 ، ص 264.

¹³ - هو أبو الحسن علي الحُصْري الضريز أختلف في تاريخ مولده فهو حسب حسن عبد الوهاب 420هـ بمنطقة حُصرة بضواحي القبروان و يقول عمر رضا كحاله: هو علي بن عبد الغني الفهري ، الحُصْري ، الضريز القبرواني ،

مقريئ اديب ، شاعر ولد أعمى في حدود سنة 415هـ توفي بطنجة بعد هجرته إلى سَبْتَة ثم إلى الأندلس أقفل راجعاً إلى المغرب حيث أقام بطنجة مدرسا للقراءات و علوم اللغة إلى أن توفي سنة 488هـ.

¹⁴ - أبو الحسن الحُصْري ، الديوان ، ص 81.

¹⁵ - مجلة علوم اللغة و آدابها ، العدد الرابع ، ص 07.

¹⁶ - أبو الحسن الحُصْري ، الديوان ، ص 212.

¹⁷- أبو الحسن الحصري ، الديوان ، تحقيق: محمد المرزوقي والجيلالي بين الحاج يحي ، مطبعة المنار ، تونس ، 1963.ص 212.

¹⁸-أبو الحسن الحصري ، الديوان ، ص 215.

¹⁹-ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1997.ص 127.

²⁰- أبو الحسن الحصري.

²¹- حسن الغرفي ، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، 2001.ص 84.

المصادر والمراجع:

ابن فارس ، أبو الحسن أحمد ، الصحابي في فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1997.
ابن منظور ؛ محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري ، لسان العرب ، ج 3 مادة
كرر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1.

أبو الحسن الحصري القيرواني ، تحقيق: محمد المرزوقي والجيلالي بين الحاج يحي ، مطبعة المنار ، تونس ، 1963.
آمال منصور ، أدونيس وبنية القصيدة القصيرة ، دراسة في أغاني مهبّار الدمشقي ، عالم الكتب الحديث ، إربد
الأردن ، 2007.

جاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج 1 ، بيروت ، 1968.

حسن الغرفي ، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، 2001.

السجلماسي ؛ أبو محمد القاسم ، المنزع البديع تقديم علا الغازي ، طبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1980.
الصغدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، نُكت الهميان في نكت العميان ، المطبعة الجمالية ، حارة
الروم ، مصر ، 1911.

صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 164.

عصام شرتح ، جمالية التكرار في الشعر السوري ، دار رند للطباعة والنشر ، ط 1 ، 2010 ، دمشق ، سوريا.
مجلة علوم اللغة وآدابها ، العدد الرابع ، مارس 2012 ، جامعة الوادي ، ص 07.

محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 1995.

مدحت سعيد الجبار ، الصورة الشعرية عند أبي القاسم ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1984.

نازك الملائكة ، قضايا الشعر العربي المعاصر ، ط 3 ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، 1967.